

اعجاز التصميم القرآني

■ بصرح القرآن الكريم بأن الخطة المثل للارتفاع بأياته ينبغي أن تُدرك وفق أصل ترتيبه المنزل وإحكامه المعجز . تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصْلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٢) لأنه لو رُكب حسب ترتيب نزوله التاريخي لحصل خلل جسيم في أصل بناء وحدته الموضوعية : التي هي إحدى معجزاته الباهرة . ■

بقلم : محمد بدر الدين [بن حسن]

مستهل المصحف في إقامة الصلوات . ويمكننا القول إننا نقرأ القرآن بتاريخ معكوس .

إن هذا الكلام فضلاً عن كونه مجرد وصف لتكوين المصحف وبنائه الخارجية : يتهدب من حقيقة النفاذ إلى صميم الموضوع المتعلق بوحدة القرآن الموضوعية . وتناسق آياته . ولا يلتفت إليها من قريب أو بعيد : لأنها بحق أحد أهم أسرار القرآن ووجوه الإعجازية . إن آيات الكتاب : ستكون وفق المقتضى الساج الذي يطرحه (بلاشير) . مجرد سرد تاريخي لجُل سبيل المثال : لو سألنا ذلك المنطق نصبح قراءتنا لسورة العلق على النحو التالي : قراءة الجزء الأول منها في صدر المصحف باعتبارها أول ما نزل من القرآن : أما بقيتها فإننا سنلتصها في أواسط سور المصحف لأنها نزلت بعده ببضع سنين !!

ولاستجلاء مظاهر التناسب والإتقان في آيات القرآن يحسن أن نعود إلى سورة منه نلتص من خلالها روعة التصميم القرآني لتفنيد مزاعم الاستشراق وكشف

وما لا يريد منهم : ومن الواضح أن لو أضيف إلى القرآن تزيخه المطول - وجعلت تلاوته أمراً لازماً مع تلاوة القرآن - لضاع هذا الغرض .

تهافت المسلك الاستشراقي

على أن المستشرقين والتابعهم بسبب نزعتي التعالي والغرور . أو بسبب الجهل والخلط المقصودين : اعتقدوا أنهم بإثارة الشكوك حول منهج الترتيب القرآني إنما يكونون قد وجهوا ضربة قاصمة لمصداقية القرآن . وأصاقله . وعلى سبيل المثال يزعم (بلاشير) في كتابه حول القرآن أن التنظيم المعتمد في مصحف عثمان تسبب في إحداث خلل لا دواء له في الترتيب التاريخي للنصوص المنزلة على محمد ﷺ . لأن السور الطويلة موافقة للدعوة في المدينة بين سنة ٦٢٢ و ٦٣٢ : أما السور القصيرة والمتوسطة وهي نصوص من الفترة المكية على العموم فإنها ترد في نهاية المصحف . ولقد شد عن ذلك السورة الأولى - الفاتحة - والتي تعد بضع آيات فقط . وهي مدانة بوضعها في

ترتيب القرآن الكريم بوحى من الله تعالى

يقول الإمام المودودي رحمه الله في مقدمة تفسيره

« لو جمع القرآن على الترتيب الذي نزل عليه : لما كان هذا الترتيب مجدياً ومفهوماً للعصور التي تلت عصر النبوة بدون أن يُضال إلى القرآن تاريخ نزوله . وتاريخ الظروف التي نزل فيها كل جزء من أجزائه : كملحق للقرآن : الأمر الذي كان ينال الغرض الذي شاء الله لأجله أن يُؤن كلامه ويحفظ في مصحف .

والله سبحانه وتعالى كان يريد أن يجمع كلاماً خالصاً نقياً لا تشوبه شائبة من الزوائد . ولا يعلّجه كلام غيره . يُرتب على ما هو عليه من الإيجاز والإعجاز معني وصورة لتيسر قراءته لكل فرد من الأفراد الصغير والكبير . الناشئ والكهل . الرجل والمرأة . الإنسان العادي والعالم الضليع . في كل زمان ومكان . في كل حال وواقع . وإيدرك جميع الناس على الأقل - مهما اختلفت درجات عقولهم - ماذا يريد الله منهم